

اسم المادة: سورة العصر

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: سورة العصر
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة فما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران: ١٠٢، أما بعد أحبتي في الله؛

من رحمة الله -عز وجل- بالخلق كما نكرر دائمًا وأبدًا أن الله -عز وجل- لم يتركهم سدى، بل أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب، هذا من رحمته ولطفه وكرمه ومنِّه -سبحانه وتعالى-أنه لم يتركنا سدى، ولم يتركنا هملًا، ولكن عرَّفَنا الطريق وبيَّن لنا حتى لا يكون لأحدٍ بعد الرسل وبعد الكتب لا يكون لأحدٍ حجةٌ على الله -عز وجل-.

الله -عز وجل- بيَّن لنا الطريق، ووضح لنا، وهدانا النجدين، فالإنسان يرى ويختار على بيِّنة كما قال ربنا -سبحانه وتعالى-: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" التوبة: ١١٥، أي: هو يهديهم أولًا، ثم يبين لهم طريق الضلال ثانيًا، ويحذرهم ويعلمهم كيف يتقون طريق الضلال، ثم هم يختارون طريق الضلال والعياذ بالله.

فمن رحمة الله -عز وجل-لابد أن يفرح الإنسان بالقرآن، أن هذا القرآن محفوظ، أن الله -عز وجل- حفظ هذا القرآن من التغيير، وأن الله -عز وجل-قيَّض رجالًا لحفظ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، أكرر دائمًا هذا المعنى؛ حتى يكون المؤمن على فرحٍ دائمًا من هذه النعمة العظيمة.

معنا اليوم سورةٌ من كتاب الله -عز وجل-، هي سورة قصيرة آياتها ثلاث آيات لكن احتوت على المعاني العظيمة، هذه السورة كما قال الإمام الشافعي: "لو تدبر فيها المسلمون لكفتهم"، سورة العصر.

يقول الله -عز وجل-: بسم الله الرحمن الرحيم "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العصر ١:٣.

هذه السورة أول ما بتفتتح أول آية في السورة تُفاجأ أن الله -عز وجل- يقسم، والملك -سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى قسم، فإذا أقسم فإنه يقسم بعظيم أو يقسم بشيءٍ يغفل عنه الناس؛ فحتى ينبهنا الله -عز وجل- إليه.

أول لما تفتح السورة تفاجأ بقسمٍ من الملك -سبحانه وتعالى-ويقول: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" ما معنى كلمة العصر؟ يعني ايه كلمة العصر؟ العلماء وقفوا عند هذه الكلمة وقفات طويلة، إن عشان نفهم كلمة العصر، نفهم ايه سبب خسارة الإنسان؟ وكيف ينجو الإنسان؟ ثم النظر في السورة التي قبلها، والسورة التي بعدها، يتضح لنا أهم أسباب الخسارة، وكيف ينجو الإنسان من هذه الخسارة.

- العصر قيل: اللي هو العصر، توقيت العصر آخر وقت اليوم، اليوم بيخلص في المغرب والليل يبدأ؛ آخر وقت اليوم اللي هو العصر.
- وقيل العصر: كل الأزمنة، وكل الدهور، من يوم خلق الله –عز وجل– الزمان إلي أن تقوم الساعة كل ده عصر، وخاصةً آخر التوقيت.

تخيل كأن ربنا –سبحانه وتعالى– أنت بتفتح كده السورة لقيت اليوم بيخلص، لقيت الشمس خلاص بتغرب، لقيت الزمان خلاص بينتهي، خلاص قاربنا على النهاية، كأنك داخل صالة الامتحان في آخر عشر دقايق وكل الطلبة قاعدين منهمكين وكله قاعد بيحل، فتُفاجأ إن ربنا –سبحانه وتعالى–يقسم إن في آخر التوقيت ولم يبقى إلا لحظات وينتهي الابتلاء وينتهي الامتحان.

ثم يخبرنا الله –عز وجل– بنتيجةٍ حتميةٍ قطعية لهذا الامتحان أن أغلب الناس خسروا، أغلب الناس رسبوا "إِنَّ الْإِنسَانَ" استغراق أو جنس الإنسان، أغلب الناس خسرت في الامتحان، كإن النتيجة، أنت قاعد مستني خلاص فاضل لحظات والامتحان يخلص.

لذلك قيل إن العصر من معانيه: إنك بتعصر حاجة، العصير اتسمى عصير؛ لأنك بتعصر الفاكهة فتنزل اللي فيها، عصر الثياب إنك تضغط على الثياب فتنزل ما فيها، فكأن الزمان لابد أن تعصر أنت الزمان أو يعصرك الزمان، إما أن تعصر أنت الزمان فتستخرج كل طاعة في كل لحظة أو يقطعك الزمان ويعصرك الزمان ويمر بك وأنت لا تشعر.

لذلك تفهم حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن حَلَفَ علَى يَمِينٍ كاذِبَةٍ –بعد العصر– يَقْتَطِعَ بها مالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ –أوْ قالَ: أخِيهِ– لَقِيَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبانُ"[1] فالعلماء بيقولوا طب ما أي يمين كاذبة سواء بعد العصر أو غير العصر جريمة، ذنب عظيم، لكن بعد العصر المفروض ده التوقيت اللي في آخر اليوم اللي بتنشغل فيه، ده آخر وقت الامتحان، أنت مشغول بالطاعات، مشغول بالذكر، أنت قاعد المفروض الآن مشغول بنهاية الامتحان، بنهاية اليوم أنت هتسلم ورقة اليوم، خلاص ورقة اليوم هترفع، تقوم تحلف كذب! لذلك ابن حجر بيقول: "لأن الأعمال بالخواتيم، وانشغل في الخواتيم بالكذب وبالدنيا" بدل ما ينشغل، تخيل أنت داخل واحد في صالة الامتحان وفاضل عشر دقايق وماحلش في الورقة وقاعد بيلعب! ده مستهزئ، ده بدل ما في آخر اللحظات يبكي ويتضرع علَّ الله –عز وجل– أن يعفو عنه.
لذلك ساعة الاجابة يوم الجمعة آخر ساعة بعد العصر قبل المغرب، آخر ساعة في اليوم، ليه؟ المفروض المؤمن في اللحظة دي بيصل إلى قمة التضرع، خلاص هيسلم ورقة يوم الجمعة، هيسلم الأسبوع كله هيترفع خلاص ويبدأ الأسبوع الجديد فيدعو ويتضرع فربنا يستجيب له هنا عشان يغفر له بقية الأسبوع.

يبقى العصر إنك لازم تعصر الزمان، الزمان بيعدي، لذلك كان بعض السلف يقول: "لم أفهم هذه السورة إلا حينما رأيت بائع ثلج" واحد معاه تلج بيبيعه "يسير ويقول أيها الناس ارحموا من يذوب رأس ماله" اشتروا مني بسرعة التلج لو ساح خلاص، ارحموا من يذوب رأس ماله، "فلما سمعتها تذكرت العصر" خلاص العصر بيخلص، الوقت بيخلص، الزمان بينتهي، فيقول: "فتحسرت على نفسي" عرفت إن الزمان بيخلص، الوقت بيمر.

تخيل أول لما اتولدت واتحطت جنبك ساعة بتعد عليك اللحظات، أنا أتعجب كيف يحتفل الناس بمرور سنة على عمرهم؟ ده المفروض يقعد بعد السنة دي يبحث اقتربت من القبر، الوقت بيمر، العجيب إن ربنا بيقول: "وَالْعَصْرِ" أي: بعد مرور كل هذه الأزمنة، أو "وَالْعَصْرِ" على



[1] صحيح البخاري

مر الدهور، أو "وَالْعَصْرِ" بعد أن قارب وقت انتهاء الامتحان، يقول الله: لم ينجح أحد؛ "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" والعجيب إن هو بيفرح عادي إن مرت عليه السنة لا يحاسب نفسه.

يقسم الله إن على مدار الأزمنة، على مدار الدهور والوقت بينتهي إن أغلب الناس في خسارة "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" خطورة الزمان، لذلك كان شعار بعض السلف لما يجي حد يقوله أريد أن اسألك، عايز أتكلم معك، يقوله: "أوقف الشمس" ما هو الزمان بيمر، أوقف الشمس عشان أعرف أتكلم معاك "فإن لم توقفها انطلقت" كانوا يحرصون على الوقت، وروي إن كان الصحابة كانوا يتواصون بعد ما يخلصوا مجلسهم وهم ماشيين يوصُّوا بعض بسورة العصر، بيذكَّروا بعض بقيمة الزمان، هتعمل ايه بعد ما هتمشي من المجلس؟ هتعصر وقتك عصرًا؟ هتستخرج ما فيه من أعمال؟ لذلك اللي بينجو في السورة "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" مش وعملوا صالحًا، عملوا كل الصالحات اللي يقدر عليها.

لذلك ابن عباس بيقول في تفسير قول الله –عز وجل–: "إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا" مريم: ٨٤، عمرك بيتعد بايه؟ قال: "بالنَفَس" عمرك محسوب بعدد الأنفاس؛ فتاخد شهيق يبقى أنت خلَّصت ومتعرفش تطلع الزفير تموت، العمر مش محسوب حتى بالسنين ولا بالأيام، لأ بمجرد النفس "إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا" كل واحد معدود له عدد الأنفاس اللي هياخدها من الهواء إلى أن يموت، أمر محسوب.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" يؤكد الله –عز وجل– بالتأكيد "إِنَّ" واللام، "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" مقالش إن الإنسان خسران، قال: "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" الخسارة بتحيط بك من جميع الجوانب؛ كأن انسان وقع في برميل خسر كده.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" خسارة بتحيط بيك، بمعنى كل اللي حواليك بيساعدك إنك تخسر، أغلب اللي حواليك بل أقرب الناس ليك للأسف قد يكون له دورٌ في خسارتك، "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" محاط بالخسارة.

لذلك لما تشوف السورة اللي قبل سورة العصر "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" التكاثر ١:٢، والسورة اللي بعد سورة العصر "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ" الهمزة١:٣، تجد خاصيتين في السورتين، فهي سورة بين السورتين، السورتين اللي قبل سورة العصر وبعد سورة العصر تعرفك أهم أسباب الخسارة، وذكرت سببين:

١–السبب الأول: الانشغال بالناس، ما هو "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ"؟

"التَّكَاثُرُ" يعني عايز يكاثر الناس، التكاثر ما بين الاتنين، يعني عايز يقول للي قدامه "أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" الكهف:٣٤، ده كل هدفه في الحياة، هو كل اللي شاغله، مشغول عايز يبقى أحسن من ده، وأفضل من ده، ومعه عربية أحسن من ده، وتليفون أفضل من ده، هو عايز يبقى أكثر من الناس مالًا وولدا، كتير من الناس يبقى راضي أول لما جاره أو صديقه أو قريبه يبقى معه أكتر منه يتضايق، طب ما أنت كنت راضي فيكاثره "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ".

٢–وسورة الهمزة مشغول بالناس بيستهزئ بيهم، قاعد بيتريق على ناس ويستهزأ بالناس.

فانشغل الأول مكاثرًا، وانشغل الثاني مستهزئًا، انشغل الأول مكاثرًا عايز يبقى أكتر منهم، وانشغل الثاني مستهزئًا، ده أول سبب للخسارة؛ إنك قاعد مشغول بالناس، تاني سبب جمع الدنيا.

"أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ" قاعد بيجمع، والتاني "الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ" أهم سببين للخسارة، مشغول بالناس وجمع الدنيا ولا يشبع، لدرجة إنه وصل في مرحلة في سورة الهمزة "يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ" معتقد إن الفلوس هتخليه يخلد، معتقد إن الدنيا هتخليه مش هيموت، فيجمع أكتر عشان يعيش أكتر، وكل ما يجمَّع مال أكتر يظن أنه يعيش أكثر.

سورة التكاثر قالتله هتتسأل على كل حاجة جمعتها "لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" التكاثر:٨، سورة الهمزة قالتله بعد ما هتتسأل عن النعيم هتترمى في الحطمة "لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ" الهمزة:٤، "الْحُطَمَةُ" اللي هتكسره، هتحطمه.



لذلك "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ"، "هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ": يعني بيستهزئ على الناس وبيتريق عليهم، كان بيكسَّر نفسيتهم، كان بيكسَّر مشاعرهم، كان بيجرحهم فيتكسر في جهنم –والعياذ بالله– زي ما كان بيحطِم الناس ويستهزئ بهم، يلقى في الحطم والعياذُ بالله.

ما بين السورتين ربنا بيقولك فيه نموذج مشغول بالناس أيضًا ولكن ينجو، طب ازاي؟ ازاي ما أنا كده كده مرتبط بالناس!

قالك انشغل بالناس أن تنصح لهم "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" أنت كده كده عايش وسط الناس مش هينفع تتركهم وتمشي، ده ربنا بيقولك: "إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ" التغابن:١٤، يعني قد يكون سبب خسارتك زوجتك وأولادك، إن لم تبدأ لهم بالنصيحة بدأوا هم معك بالخسارة، كذلك الناس لو أنت مكنتش المغيِّر هما اللي هيغيروك.

"وَالْعَصْرِ" لابد أن تعصر الزمان، الوقت بينتهي، أصلًا وقت العصر يقال إنه اتسمى العصر؛ لأن خلاص اليوم بيتعصر معدش فيه غير آخر شوية، فآخر وقت موجود في اليوم ده خلاص ده عصارة اليوم بعد ما اليوم خلاص بيخلَّص آخر ما فيه، فاستشعار قرب النهاية، استشعار خلاص انتهاء وقت الامتحان، "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" لم ينجح أحد.

"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا" دايمًا لما يجي الاستثناء ده تعرف إن العدد قليل، يعني لو الفصل فيه ١٠٠ واحد، مدرسة فيها ١٠٠ طالب فكله مستني النتيجة، فيطلع المدير يقول النتيجة لم ينجح أحد فالكل يبكي فيقول المدير إلا، المدير يقول إلا متوقع مش هينفع يقول إن لم ينجح أحد إلا تسعين واحد لأ كان هيقول كله نجح إلا عشرة، فدايمًا المستثنى قليل؛ ينجو من كل ألف واحد، ويسقط تسعمائة وتسعة وتسعون في جهنم، نسبة مرعبة.

تخيل لما ربنا يقول: "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" الكل يبكي، "إِلَّا" إلا مين يارب عشان أنجو؟ "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" تعال نشوف أسباب النجاة في السورة.

أسباب النجاة من السور اللي قبلها: ألا تنشغل بالناس مستكثرًا ولا مستهزئًا، لا تنشغل إنك تكاثر الناس، ولا تنشغل إنك تستهزئ بالناس، ودايمًا السبب الأولاني بيؤدي للتاني، اللي بينشغل بالناس عايز يبقى أكتر منه بعد ما بيبقى أكتر منه يروح يستهزئ به، خلاص ما هو بقى معاه قوة عليه فيستهزئ به، لذلك من أول المعاصي اللي وقعت في بني آدم "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" المائدة:٢٧، كان مشغول بأخيه، وفي بعض الروايات كما ذكر الإمام الطبري قال: "تسير بين الناس يقولون تُقبِّل منك ولم يتقبَّل مني! والله لأقتلنك" أنت عايز الناس تقول عليّا ايه؟ أنا أقتلك عشان ميبقاش فيه حد كويس.

زي "أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ" الأعراف:٨٢، عشان ميبقاش الناس بتعايرنا إن فيه ناس نضيفة موجودة فأنا هقتلك، زي "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا" مش قادرين يعملوا اللي بيعمله يوسف من البر، خلاص "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ" يوسف:٩.

الانشغال بالناس قد يؤدي إلى قتله، عايز تكاثر الناس، الغل والحسد لما بيسيطر على إنسان لا يرى شيء في الدنيا إلا أنه يكاثر هذا الشخص، عايز يبقى أكتر منه، وبعد ما يبقى أكتر منه يهمز به ويلمز به، الهمزة اللمزة، خلاص ويجمع المال ويظن أن هذا المال يخلده في الدنيا، دي الأسباب؛ الانشغال بالناس مكاثرًا أو مستهزئًا سورة التكاثر، وسورة الهمزة أو جمع الدنيا، دي أسباب الخسارة.

طب أسباب النجاة داخل السورة؟

طبعًا من أول لحظة "وَالْعَصْرِ" استغلال كل لحظة في حياتك:

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–، صلوا عليه –صلى الله عليه وسلم–: "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ"[٢] يعني ايه مغبون الأول؟

[٢] صحيح البخاري



يعني واحد غُبن في حاجة، الغُبن غير الخسارة، الغُبن أفحش من الخسارة، يعني لو واحد معاه عربية مثلًا بمائتين ألف وباعها بمائة وسبعين ألف ده نقول خسر فيها، إنما لما يبقى عربية بمائتين ألف ويبيعها بعشرة آلاف نقول ده غُبن في العربية، الغبن: الخسارة الفاحشة.

لذلك فيه حاجة في الفقه اسمها خيار الغبن، إن البائع لو بيبيع ومعندوش خبرة واتضحك عليه وخسر خسارة فاحشة نرجعله السلعة بتاعته؛ لأنه يبقى سفيه، المفروض يُحجر عليه أصلًا، اللي يبيع حاجة بغبن ده المفروض يكون سفيه مايبعش، لذلك لما بعض الصحابة أصيب في غزوة من الغزوات في رأسه منقذ ابن حبان وأصابته لوثة، يعني كان أصابه شيء في عقله وكان يحب البيع، فكان يروح يبيع فالناس تضحك عليه، فأهله حجروا عليه؛ منعوه من البيع، فراح اشتكى للنبي –صلى الله عليه وسلم– يحب البيع لكن مابيعرفش يبيع، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– قاله اشترط أثناء البيع قال: قل "لا خِلَابَةَ"[3] ولي الخيار ثلاثة، لا خلابة يعني محدش يضحك عليّا أنا واخد إذن من النبي –صلى الله عليه وسلم– واللي هيضحك علي قدامي ثلاث أيام أراجع أهلي عشان أرجَّع البيع، الشاهد إن اللي يبيع غبن ده سفيه يُحجر عليه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول في كثير من الناس معاها نعم بتبيعها بالغبن، ما هي يا رسول الله؟ قال: "الصِّحَّةُ والفَراغُ"، الوقت والاستطاعة، الليل جه الساعة جت ١٢،١١، ١٠ بالليل لغاية الفجر أنت عندك وقت وتقدر تقوم تصلي قيام ليل ومتصليش قيام ليل أنت كده غُبِنْت، كده المفروض يُحجَر عليك، كده الإنسان الأوقات اللي بتضيع بدون ذكر ده مغبون، وقت واستطاعة ممكن يذكر ربنا، ممكن يخدم الناس، ممكن يعمل أعمال صالحة، ممكن يصلي، ممكن ينفع العالمين، أي شيء.

لذلك عمر بن الخطاب يقول: "لا أحب أن يجلس الرجل سبهللة، لا في أمر دينٍ ولا في أمر دنيا"، "وكان عمر بن الخطاب يعجبه الرجل – يشـــوف واحد كده يحس إنه رجل– فيتتبعه، فإذا علم أنه لا في أمر دينٍ ولا في أمر دنيا وقع من عينه"، خلاص ده معدش ينفع، مش هاستعمله.

لذلك يقول الله –عز وجل– حتى للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "فَإِذَا فَرَغْتَ" الشرح:٧، أول لما توصل لمرحلة الفراغ أيًا كان الفراغ بعد جهاد، بعد صلاة، بعد طاعة، بعد عمل دنيوي، بعد الدعوة إلى اللّه، مينفعش المسلم يمكث في الفترة دي طويلًا، فترة الفراغ دي؛ لذلك قاله: "فَإِذَا فَرَغْتَ" ماقلوش ثم انصب، "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" مباشرة، ومش فإذا فرغت فسمي الله بقى وابدأ فكر في عمل جديد، انصب، اجتهد على طول، اخرج من عمل إلى عمل، متنتظرش هتعمل ايه، لذلك أحد التلامذة اللي كان بيطلع الأوائل في الكليات، طالب الجامعات كان بيطلع الأول على الدفعة فقام دكتور في الجامعة عايز يعرَّف الناس ايه السبب إن ده بيطلع الأول، ومكنش متفق معاه ولا حاجة لكن هو فاهم؛ لأن الدكتور ده كابد وعرف ايه سبب إنه يطلع الأول، فوقف الطالب قدام الناس، قاله قل لي يا ابني: أنت يوم التلات بعد العصر عندك ايه؟ قال له: عندي كذا وكذا، قاله: يوم الخميس بعد المغرب؟ قاله: عندي كذا، قاله: والجمعة بعد العشاء؟ قاله: عندي كذا، قالهم: هو عشان كده بيطلع الأول، عشان مفيش حاجة اسمها وقت فراغ، كل وقت عارف هو بيعمل ايه، هو بيحدد هيعمل ايه، كذلك الأوائل يوم القيامة عارفين هم بيعملوا ايه، معندهمش وقت ضايع، معندهمش وقت فراغ.

"فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" وخلي هذا النصب طلب لرضا اللّه، حتى لو عمل دنيوي أحسِن فيه، وأتقن فيه، وتقرب به إلى اللّه؛ "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب" الشرح٧:٨، خلي كل رغبتك الداخلية إلى الله –عز وجل–، كل مشاعرك تتجه لرضا الله –عز وجل– "وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب"، المؤمن لا يمكث في هذه الفترة طويلًا، لو أصيب بها على طول يفزع، ازاي قاعد مورهوش حاجة.

"نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ" مغبون، أنا عايزك تتخيل مشهد اللي معه عربية بمتين ألف وبيبيعها بخمسة آلاف، هو ده الناس اللي معها وقت وصحة ومبتعملش بيها حاجة نازل يضيع وقت، ده بالظبط ده هو المغبون، ده اللي المفروض يحجر عليه، إنه بينفق هذه الأثمان الغالية، اللي يوم

[3] صحيح البخاري



القيامة هيتحسر، هيتحسر على اللحظة، ده من عجيب فقه الأئمة، قرأت الإمام ابن المبارك سُئل سؤال فقهي، مسألة فيها خلاف: لو المأموم دخل على الإمام، والإمام في السجود، هل ينتظر ولا مينتظرش؟ المسألة فيها حديث ضعيف، إن اللي يدخل يدرك الإمام أيًا كان وده الراجح إنه يدرك الإمام، الشاهد ابن المبارك بيسألوه بيقولوا: لو واحد دخل على الإمام ولقاه ساجد يستنى لما يرفع من السجود ويقف للركعة ولا ينزل يسجد؟ ما هو كده كده الإمام هيطلع فاستناه وخلاص وكده كده الركعة راحت عليّا؟ ولا انزل أسجد؟ قال: "فليسجد، وما يدريه لعلها أن يغفر له بسبب هذه السجدة" وما يدريه، دي ممكن تبقى آخر سجدة، ممكن يتغفر له سببها، قال فليسجد، يلحق بسرعة السجدة.

كل طاعة بتعدي، لما كانت الجنازة تعدي كان يبكي ابن عمر يقول: "كم فرطنا من قراريط" قعد يضرب الحصى في الأرض ندمان، كل جنازة عدت حاسس أنه ضيعها، كان عايز يمشي وراها، ده كان شعور الصحابة وشعور السلف بمرور الأوقات، هو بيعتصر إن الوقت بيعدي، ده ابن الجوزي بيقول: "تمنيت أن كل نفسٍ لي خزانة أضع فيها الحسنات" مش عايز يعمل حسنات في الساعة، عايز يعمل حسنات بعدد الأنفاس، كل نفس يبقى خزانة يضع فيها الحسنات.

بعض العلماء المعاصرين مقسم اليوم بتاعه كل تلت ساعة بيعمل حاجة، وأنا رأيت ذلك بعيني تروح له تلت ساعة تلاقيه بيجلس مجلس علم، التلت ساعة اللي بعدها مجلس آخر، التلت ساعة اللي بعدها، أنت ممكن تقعد تلات ساعات وتلاقي ايه اللي حصل؟ احنا صلينا العصر وبعدين لقينا المغرب أذن، مغرب ايه؟ ده احنا النهاردة الجمعة بنحس إن بكرة الخميس، إن الأسبوع بيمر ولا نشعر، لكن اللي بيعصر الوقت عصرًا يعرف قيمة كل لحظة، يراقب الشمس قاربت على الغروب ده ميعاد الأذكار، ده ميعاد القيام، ده ميعاد الصلاة، ده ميعاد الذكر، ده ميعاد صلة الرحم، ده ميعاد خدمة الناس وإطعام المساكين، ده معاد العمل؛ أنه يعمل ويأكل من عمل يده، ده المؤمن معندوش حاجة اسمها وقت فراغ، "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" نفصَّل فيهم بعد جلسة الاستراحة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد–صلى الله عليه وسلم–؛

"وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" أقسم الله –عز وجل– حتى لا يشك أحد، ولا يرتاب أحد، ولا يجادل أحد على قيمة الزمان اللي بيمر وبينتهي الوقت إن أغلب الناس خسران، إلا مين يارب؟ "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العجيب إن ربنا مقالش "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" إلا الذي آمن وعمل صالحًا ووصى بالحق ووصى بالصبر، ربنا مقالش كده مع إن كان السياق يحتمل كده، إن هو إن الانسان لفي خسر إلا الذي آمن، قال إلا ايه؟ "الَّذِينَ" أول سبب النجاة الاجتماع؛ البيئة الصالحة، أهل المساجد، أهل الدين، الصحبة الصالحة.

أول سبب النجاة، وكأن ربنا بيقولنا الأصل إن الانسان مش هينجو لوحده، أنت في طلب الهداية بتقول "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة:٦.

يبقى أهم أسباب الخسارة؛ البعد عن بيئة الإيمان، البعد عن الصحبة الصالحة، النصيحة الوحيدة اللي أعطاها العالم إلى القاتل، إلى قاتل المئة؛ قاله: "انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ"[4] عايز ينقله من الخسارة للنجاح.

قبل ما يقوله: "آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" هو لسه في الأول قاله "الَّذِينَ"، قاله خليك مع الذين دول وأنت بعد كده هتمشي لوحدك، وقاتل المئة فرقت معه شبر، يعني لو كان اتأخر شوف بقى قيمة العصر، قيمة الوقت، لو كان اتأخر وهو ماشي

[4] صحيح مسلم



ده الشبر ده تقريبًا الخطوة بتاعة الرِجل تقريبًا ٣ أشبار، يعني لو كان اتأخر تِلت خطوة كان دخل النار، شِبر واحد فرق معاه وهو ماشي في نص الطريق مات، فربنا نزِّل الملايكة تقيس ما بين مكان الموت ومكان الأرض الصالحة، ومكان الموت ومكان الأرض الفاسدة وجدوه أقرب إلى الصالحة بشبر.

زي ما يقولك ابن المبارك بيقولك الحق ولو سجدة، أدرك ولو تسبيحة، مفيش حاجة اسمها الموضوع خِلص، عندنا القضاء الحاجة اللي تفوتك، كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا فاته حزبه أو نام عنه حزبه من الليل قضاه بالنهار، قيام الليل، شوف ولو شِبر إياك إنك أنت تتأخر، إياك إنك تتأخر، اللي سمع الآذان ينزل حتى لو بعد كدا الإقامة، ينزل ولو بعد الصلاة يصلي في المسجد، يعود نفسه على ذلك، كتير من الناس مقاييسها مختلفة اللي هيمشي مع تقييمات الناس هيضيع، لذلك يقول أحد السلف: "فاتتني تكبيرة الإحرام فعزَّاني واحد، ولو مات لي ولد لعزاني مائة ألف!" بيقول هو بيستنكر ازاي تفوتني تكبيرة الإحرام واللي يعزيني واحد بس! ازاي مع إن أنا مشهور أنا لو ابني مات ميت ألف واحد هيعزوني، شوف إن الناس ممكن تغيَّر طريقة تفكيرك في الحياة، فأنت لازم تروح لبيئة صالحة تساعدك إنك تبحث عما ينفعك، متضيعش وقتك.

١–عشان متخسرش في السورة؛ استغلال كل لحظة في حياتك.

٢–"الَّذِينَ" اللحاق بالبيئة الصالحة وبالتالي البُعد عن البيئة الفاسدة، طول ما أنت بتحاول وأنت في البيئة الفاسدة أنت عامل زي اللي بيغتسل وهو في المستنقع كل ما يتطهر كل ما ثيابه يُصِيبها النجس، لازم تترك، أول كلمة قاله اترك، الكلمة اللي احنا مش عايزين نسمعها، الكلمة اللي تقيلة على قلوبنا كلمة اترك، لكن دي سبب النجاة الأول، اترك أرضك "فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ".

"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" الإيمان اللي هيغير نظرتك عن الوقت، الإيمان هو اللي هيخليك تعرف قيمة الجنازة اللي معدية، هتتخيل، الإيمان هيخليك تتخيل منظر الجنازة ماشية جبل أحد حسنات ماشي، الإيمان هيخليك تتخيل مشهد المريض أنه جنة بتمشي فيها وأنت رايح تزوره، الإيمان هيخليك تتخيل الأذى اللي بتشيله من الطريق إنك بتترقى في سلم الإيمان، الإيمان هيغير نظرتك عن أفعالك، عن أوقاتك، الإيمان هيخليك تغير جدول مواعيدك، معدتش بتقول للناس الساعة تلاتة وأربعة وخمسة إلا ربع، لأ هتقول للناس المغرب، بعد العصر، بعد الفجر، كلامك ومواعيدك ومصطلحاتك ومفاهيمك هتتغير؛ ده الإيمان، إنك ترجع تاني تتعامل بما يريد الله –عز وجل–، كأنك أنت خلاص بتمسح طريقة التفكير القديمة وبتنزل طريقة تفكير جديدة تمامًا.

"الَّذِينَ آمَنُوا" أول لما الإيمان جه، انطلق في الأعمال "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" كأن مشهد واحد كان نايم في البيت والبيت بيولع، أول حاجة عملها أنه صحي هي دي "آمَنُوا"، "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" الصالحات من الإصلاح؛ أنه أصلح الفساد، أنه قاعد يجري يحاول، انطلق في كل الأعمال الصالحات.

٣–لازم يصحِّي الناس، كما أن الله –عز وجل– منَّ عليك باليقظة، فأيقظ الناس، اوعى تسيب الناس!

من أهم أسباب النجاة؛ إنك تصحي الناس، اوعى تنشغل بالناس إنك تكاثرهم في الدنيا زي سورة التكاثر، اوعى تنشغل بالناس إنك تستهزئ بيهم زي سورة الهمزة، خلي انشغالك بالناس إنك تنقذهم، سئل ابن سيرين: "ما القلب السليم؟ قال: أنصح الناس للخلق" اللي قلبه سليم، اللي بيحب الناس جدًا ونفسه ينصحهم، ونفسه الناس كلها تبقى كويسة ده اللي قلبه سليم، أنصح الناس للخلق هو ده اللي قلبه سليم.

"وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ" يصحي الناس، اعرف إن دي مهمة صعبة فربنا بيقولك اصبر، اصبر، النجاة من الخسارة مش سهلة، اللي حواليك عايزينك تخسر حتى لو غصب عنهم "إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ" التكاثر اللي في الدنيا اللي حواليك هيفتنك، أنت ممكن تبقى من الذين آمنوا، وممكن تبقى من اللي عملوا الصالحات، ومن اللي تواصوا بالحق، متعرفش تصبر فالتلاتة يقعوا منك! دايما خط البداية زحمة، لكن خط النهاية اللي بيوصل في آخر السباق قليل.



لو احنا اتكلمنا عن أهمية حفظ القرآن، وقالولنا خطبة وجيبنا أحد المشايخ قالنا خطبة كلنا قعدنا نبكي عن أهمية حفظ القرآن، وقولنا مين هيحفظ القرآن؟ الاستمارة لحفظ القرآن هتلاقي المسجد كله بيقدم طلبات حفظ القرآن، لكن السنة اللي بعدها مين كمل حفظ القرآن؟ تجد بعد ما كان عندنا خمسة آلاف طلب مثلًا اللي كمل تلاتة أربعة، وده الصبر، مين اللي بيكمل للآخر؟ سهل جدًا إنك تاخد قرار النهاردة أنا هحافظ على الصلوات في المسجد، وتستعين بالله لكن مين اللي هيصبر؟ لذلك ربنا قال: "وَتَوَاصَوْا" مقالش ووصي.

يعني ايه "وَتَوَاصَوْا"؟ يعني أنت النهاردة بتوصِّي بكرة في واحد بيوصيك، "وَتَوَاصَوْا" يعني الناس بتوصي بعض، لذلك يقولون: لا أحد أكبر من أن يُوصَى، ولا أحد أقل من أن يُوصِي، دا معنى "وَتَوَاصَوْا".

لا أحد أكبر من أن يُوصَى: مفيش حد كبير على النصيحة، ولا أحد أقل من أن يوصِي: اوعى تقلل نفسك، هو أنا مين عشان أنصح؟ لأ انصح، ده من أسباب النجاة؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني اللي هيصلي ويقيم الليل ويذكر ربنا ميأمرش بالمعروف وينهي عن المنكر خسران برضه، اللي مش هيصلح أحوال الناس أيضًا خسران، اللي مش هينشغل بإصلاح بيته وزوجه وأولاده وأقاربه أيضًا في خسارة.

"وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا" أنت النهاردة نشيط، بكرة أنت ضعيف، لذلك أنت محتاج بيئة الإيمان، أنا النهاردة بوعظ بكرة محتاج حد يوعظني، أنت النهاردة بتقول النصيحة بكرة محتاج حد يقولهالك، أنت النهاردة شوفت واحد غضبان قولتله اذكر الله واستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، بكرة أنت هتبقى غضبان وهو يقولك استعيذ بالله من الشيطان الرجيم، هو ده الناس، الإنسان دايمًا متقلِّب لذلك محتاج أنه لما يسقط يبقى في بيئة إيمانية تلحقه، مش لما يسقط ناس تبقى فرحانة أنه وقع وخلاص رجع تاني زيه زينا، ورجع خلاص معدش حد هينصحنا ولا يوجع دماغنا، لأ لازم تكون في بيئة إيمان.

إذًا أحبتي في الله حتى لا أطيل عليكم، هذه السورة القصيرة، التلات آيات أول لما تفتحها تحس إن الوقت بيخلص، إن اليوم بيخلص، إن الزمن بيخلص، وأن القيامة اقتربت، ويقسم الله بآخر لحظات الامتحان "وَالْعَصْرِ" ايه النتيجة يارب؟ لم ينجح أحد "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" أبدًا يارب؟ لأ عدد قليل اللي نجح، مين هما؟ اللي حافظوا على أربع حاجات "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" ولم يكونوا من المتكاثرين، ولم يكونوا من الهمّازين اللمَّازين، السورة اللي قبلها، والسورة اللي بعدها، كذلك ينجو الإنسان.

أسأل الله –عز وجل– أن ينجيَّنا من الفتن، اللهم بارك لنا في أوقاتنا واملأها بطاعتك يارب العالمين، اللهم بارك لنا في أعمارنا واملأها بطاعتك يارب العالمين، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، اللهم اجعلنا لك ذكَّارين شكَّارين صوامين قوَّامين عليك متوكلين إليك منيبين أواهين مخبتين يارب العالمين، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وبارك لنا في أعمالنا يارب العالمين، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى، اللهم قيِّض لهذا البلد أمر رشد يُعَز فيه أهل طاعتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم حكِّم فينا كتابك، اللهم ولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا شرارنا، اللهم اصرف عن مصر الفتن وعن سائر بلاد المسلمين يارب العالمين، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأقم الصلاة.

